أدلة وجود الله تعالى عند ابن رشد

الباحثة/ هناء عبدالحميد أحمد

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد سلامه عبد العزيز

ملخص البحث:

أدلة وجود الله تعالى عند ابن رشد

١ – دليل العناية الإلهية .

٢ – دليل الاختراع أو السببية

٣ – دليل الحركة

يرى ابن رشد أن هذه الطرق كلها ليست واحدة منها هي الطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرتهم ، إلى الأفراد بوجود الباري سبحانه ، فما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم (قلنا) الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بانها اذا استقرئ الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جنسين أحدهما طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها ولنسم هذه دليل العناية الإلهية ، والطريقة الثانية ما يظهر من اختراع الأشياء الموجودات / مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل ولنسم هذه دليل الاختراع. فالرجل قد درس العلوم العربية الإسلامية وصار تخصصا فيها ، وكتابة "بداية المجتهد و نهاية المقتصد في الفقه على المذاهب الأربعة :" لا يعلم من فنه أنفع منه ولا أحسن مسافاً"، كما يقول ابن الآبار، هذا فضلاً عن ممارسته القضاء السنوات طويلة . ومن هنا تميز دفاع ابن رشد عن الفلسفة و علوم القدماء فهو لم يدافع عن الفلسفة

الكلمات المفتاحية:(أدلة وجود الله ، الوحدانية ، الصفات)

Research Summary:

Evidence of the existence of God Almighty according to Ibn Rushd

- ١ **Evidence of Divine Providence.**
- ٢ **Evidence of invention or causation**
- ٣ **Movement guide**

Ibn Rushd believes that all of these paths are not one of them. It is the legal method through which the Sharia called all people, regardless of their nature, to individuals in the presence of the Creator, Glory be to Him. So what is the legal method that the Mighty Book warned about and which the Companions, may God be pleased with them, adopted (we said), the path that the Book warned about? And He called on all of them, since if one reads the Mighty Book, it is found that it is limited to two types, one of which is the way to understand the care of man and the creation of all existing things for its sake, and let us call this the evidence of divine providence, and the second way is what appears from the invention of existing things / such as the invention of life in inanimate objects, sensory perceptions, and the mind, and let us call this. Invention guide.

Keywords: (evidence of God's existence, oneness, attributes(

المقدمة:

فالرجل قد درس العلوم العربية الإسلامية وصار تخصصا فيها ، وكتابة "بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه على المذاهب الأربعة :" لا يعلم من فنه أنفع منه ولا أحسن مسافاً"، كما يقول ابن الآبار، هذا فضلاً عن ممارسته القضاء السنوات طويلة . ومن هنا تميز دفاع ابن رشد عن الفلسفة وعلوم القدماء فهو لم يدافع عن الفلسفة ب" الفلسفة كما فعل الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة و ابن طفيل ، بل دافع عنها بالفقه .[١] واجه الغزالي وغيره من ينهى عن (النظر في كتب القدماء" واكفر الفلاسفة ، وأجههم داخل الشرع وبالاستناد إلى أصوله . كما و أواجه تأويلات المتكلمين وبخاصة الأشاعرة الذين كانوا قد جعلوا من مذهبهم "عقيدة " رسمية وحكموا بالكفر أو بالفسق على كل من لم يعتنقها، وأجههم بالقرآن والحديث والمنطقي . كل ذلك في إطار نظرة شمولية و فهم عميق ونزيه، يدافع عن الفلسفة كما يدافع عن الشريعة، مؤكدا استقلال كل منها بأصوله ومنهاجيته والتقاء هما في الهدف الذى يسعيان إليه معا : الفضيلة .[٢] هناك جانب آخر أساسي انفرد به ابن رشد في معالجته للعلاقة بين الدين والفلسفة ، ولم ينتبه إليه أحد من المهتمين بالفكر الرشيدي مستشرقين و عرباً وغيرهم : تقصد بذلك. كون فيلسوف قرطبة يعالج قضية العلاقة. بين الدين والفلسفة من منظور خاص يركز على مسألة العلاقة بين الدين والمجتمع ذلك هو الإطار الذى يجب أن يفهم فيه الحاجة على التميز بين" الجمهور" و" العلماء "، وعلى ضرورة أخذ الجمهور بما يقيده ظاهر النصوص وبالتالي ضرورة تجنب إفشاء التأويل لهم. وذلك في الحقيقة هو المقصد صد الأعمق من تأليفه هذا الكتاب : فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال."[٣] إن القصية الجوهرية التي يطرحها هذا الكتاب ليست "

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي المقارن وجمع المادة العلمية وعرضها وتحليل نصوصها ومقارنة تلك النصوص مع بعضها بعد ذلك نقد هذه النصوص واستنتاج بعض النتائج في نهاية البحث .

ويتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع

---

(١)ابن رشد: فصل المقال فى تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال دار الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى – بيرت تشربن الثانى /نوفمبر س١٩٩٧ ص٤٩

(٢) نفس المصدر السابق نفسه ص٤٩/٥٥

(٣) نفس المصدر السابق نفسة ص٥٠

المبحث الأول: أدلة وجود الله
المبحث الثاني : الصفات والذات
وأخيرا الخاتمة وتشتمل علي أهم النتائج
وقائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول : أدلة وجود الله

وابن رشد يتحدث هنا عن :ـــ

ا – دليل العناية الإلهية :- ثم شرع ابن رشد في بيان هاتين الطريقتين ، وتوضيح معالمها في القرآن العظيم والكون، فقال (فأما الطريقة الأولى فتبنى علـــى أصـــلين : أحـــدهما أن جميع الموجودات التي ههنا موافق لوجود الأنسان ، والأصل الثان: أن هذه الموافقة هـــي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقـــة بالاتفـــاق ، فأما كونها موافقة لوجود الأنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس و القمر لوجود الإنسان ، وكذلك مواقفة الأزمنة الأربعة له ، و المكان الذى هو فيه أيـــضا وهو الأرض وكذلك تظهر أيضاً موافقة كثير من الحيوان له والنبات والجماد و جزئيـــات كثيرة مثل الأمطار والأنهار ، والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنار والهـــواء وكـــذلك أيضا تظهر العناية في أعضاء البدن ، وأعضاء الحيوان أعنـــى كونهـــا موافقـــة لحياتـــه ووجوده ، وبالجملة فمعرفة ذلك أعنت منافع الموجودات داخلة في هـــذ (الجـــنس) ولـــذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحـــص عـــن منـــافع جميـــع الموجودات [١]

ويقول في شأن دليل العناية وهو يتحدث عن كون العالم دليلاً علـــى الـــصانع عـــن طريق العناية والانتظام الواضح البين بين أجزائه: (وذلك أن دلالـــة العنايـــة تـــدل علـــى الأمرين [٢] معاً ولذلك كانت أشرف الدلائل الدالة على وجود الصانع ، وأمّا أن هذا النـــوع من الاستدلال هو النوع الموجود فى الكتاب العزيز فذلك يظهر من غير ما آية من الآيـــات التى يذكر فيها بدء الخلق، فمنها قولة تعالى : (ألم تجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا)[٣] إلى قولة (وجنات ألفافا) فإن هذه الآية .

إذا تؤمّلت وجد فيها التنبيه على مواقفة أجزاء العالم لوجود الإنسان، وذلك أنه ابتـــدأ فنبه على أمر معروف بنفسه لنا معشر الناس الأبيض والأسود. ، وهو أن الأرض خلقـــت أمر بصفة يأتي لنا المقام عليها ، وأنها لو كانت متحركة أو بشكل آخر غير الموضع الذى هي عليه ، أو بقد ر غير هذا القدر لما أمكن أن نوجد فيها ولا أن نخلق عليها ، وهذا كلـــه محصور فى قوله تعالى : (ألم نجعل الأرض مهادا) وذلك أن المهاد يجمع الموافقة فـــى

(١)كتاب الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد المله وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبة المزيفة والبدع المضلة تصنيف الشيخ العلامة ابو الوليد بن رشد ، ص ٣٦، ضمن كتاب (فلسفة ابن رشد القاضى احمد بن احمد بن رشد الأندلسى المتوفى سنة ٥٩٥ رحمة الله ، ط الاولى بالمطبعة العلمية بمصر ١٣١٣ (هجرية)ص ٣٦

(٢). رسالة بعنوان قضايا الألوهية ، عند ابن . رشد و توماس الأكوينى حيث مقدر لنيل درجة الماجستير للباحث كراموكوغوث إشراف ا د حامد طاهر حسنين أ . د عيد الحميد عبد المنعم مدكور ، القاهره ٢٠١٠/ ٢٠١٣ رقم ١٥٤٢٥

(٣) سورة النبأ رقم الآية (٦-٧)

الشكل والسكون والوضع . وزائد إلى هذا المعنى الوثارة واللين ، فما أغرب هذا الإنجـــاز، وأفضل هذه السعادة ، وأغرب هذا الجمع، وذلك أنه قد جمع فى لفظ – مهاد – جميـــع مـــا في الأرض من موافقتها لكون الإنسان عليها)[1] وقوله تعالى : (والجبال أوتادا) فإنه نبـــه بذلك على المنفعة الموجودة فى سكون الأرض من قبل الحبال، فإنه لـــو قـــدرت الأرض اصغر مها هى كأن كانت دون الجبال لتزعزعت من حركات باقي الاسطقسات أعنـــى – الماء والهواء– ولتزلزلت وخرجت من موضعها ، ولو كان كذلك لهلك الحيوان ضرورة ، فإذا موافقة " سكونها لما عليها من الموجودات لم تعرض بالاتفاق إنما عرضت عن قـــصد قاصد، وإرادة مريد [2]

وقال أيضا : (ثم نبه على موافقة وجود الليل والنهار للحيوان فقال تعالى – وجعلنا الليـــل لباسا وجعلنا النهار معاشا – يريد أن الليل جعله كالسترة و اللباس للموجودات التـــي مهنـــا من حرارة الشمس، وذلك أنه لولا غيبة الشمس بالليل لهلكت . الموجودات التي جعـــل الله حياتها بالشمس وهو الحيوان والنبات ، فلما كان اللباس قد يقي من الحر مع أنه ســـترة ، وكان الليل يوجد فيه هذان المعنيان ، سماه الله تعالى لباسا، وهذا من أبدع الاســـتعارات)[3] فعبر بلفظ البنيان وقال أيضا : ثم قال تعالى : (و بنينا فوقكم سبعاً شدادا وجعلنـــا ســـراجاً وهاجا) [4] عن معنى الاختراع لها ، وعن معنى الاتفاق الموجود فيها والنظام والترتيب، وعبر بمعنى الشدة عمّا جعل فيها من القوة على الحركة التي لا تفتر عنها ولا يلحقها مـــن قبلها كلال ، ولا يخاف أن تخر السقوف والمباني العالية ، وإلى هذا الإشـــارة فـــى قولـــه تعالى : (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) [5]وهذا كله تنبيه منه على موافقتها فـــي أعـــدادها وأشكالها وأوضاعها وحركاتها لوجود ما على الأرض وما حولها حتى انه لو وقف جـــرم من الأجرام السماوية لحظة واحدة لفسد ما على وجه الأرض فضلا عن أن تقف كلها)[6]

٢ – دليل الاختراع أو السية :

وأما دليل الاختراع أو السببية، فهود ليل يمتاز بالبداهة والوضوح ، وظاهرة الاختراع بينـــة فى الحيوان والنبات " بل جميع أجزاء العالم وكل ظواهر الكون مسخرة لوظائف محـــدودة وما كان مسخراً فلابد من أن يكون مخلوقاً وهذا الدليل يشبه ســـابقه حتـــى أنـــه دعـــوة صريحة إلى البحث والدراسة لمعرفة أسرار القوانين والغايات التى أودعها الله فـــى هـــذا

---

(1) نفس الرسالة ص ٦٩

(2) نفس الرسالة ص ٦٩

(3) نفس الرسالة ص ٦٩

(4) سورة النبأ رقم الآية (١٢)

(5) سورة الأنبياء : رقم الآية (٣٢)

(6) نفس الرسالة ص ٦٩ – ٧٠

الكون [1] وهذه الطريقة تنبني على اصلين موجودين بالقوة فى جميع فطر الناس ، أحـــدهما أن الموجودات مخترعة ، وهذا معروف نفيه من الحيوان والنبات ، كما قال تعـــالى : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلفوا ذباباً ولو اجتمعوا له)[2]

فإنا نرى أجساما جماديه ثم تحدث فيها الحياة ، فنعلم قطعاً أن هذا موجداً للحياة ومنعماً بها ، وهو الله تعالى ، وأما السموات فنعلم من .

قبل – حركاتها التى لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما مهنا ، ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة :وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع فيصبح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له ، وفى هذا الجنس دلائل كثيرة على عـــدد المخترعات ، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفه الله حق معرفته أن يعـــرف جـــواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي فى جميع الموجودات ، لأن من لـــم يعـــرف حقيقـــة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع [3]

ثم قال (فهذان الدليلان هما دليلا الشرع) وأورد الآيات المثبتة لهما ، كما اثبـــت أن هـــذا الطريق هو الطريق المستقيم الذى دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده ، ونـــبههم علـــى ذلك بما جعل من فطرهم .

من إدراك هذا المعنى . وإلى هذه الفطرة الأولى المغروزة فى طباع البشر الإشارة بقولـــه تعالى، وإذ أخذ ربك من بن آدم من ظهورهم ذريتهم إلى قولة : (قـــالوا بلـــى شـــهدنا)[4]
ولهذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله فى الاىمان به ، وامتثال ما جاءت به رســـله أن يسلك هذه الطريقة ، حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية ، مـــع شـــهادته لنفسه وشهادة ملائكته له ، كما قال تبارك وتعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكـــة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [5]ومن دلالة الموجودات تسبح لـــه السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الإ يسبح من هاتين الجم الجهتين عليـــه هو التسبيح المشار إليه في قوله تبارك وتعالى ، " وان من شيء الإ يسبح بحمده ولكـــن لا تفقهون تسبيحهم " [6] وبعد هذه التفصيلات والتوضيحات الشاملة. ابـــن رشـــد خـــتم هـــذه المسألة. بقوله : (فقد بأن من هذه الأدلة أن الدلالة على وجود الصانع منحصرة فى هـــذين الجنسين : دلالة العناية ، و دلالة الاختراع ، وتبين أن هاتين الطريقتين هما يـــا عيانهمـــا

---

(1) الموسوى: (الدكتور موسى) من الكندي إلى ابن رشدى ، دار الناشر المنشورات عويدات، الطبعة الثالثة ، بيروت – باريس ١٩٨٢م ص ٢٢٤

(2) سورة الحج الاية قم (٧٣)

(3) لابن رشد مناهج الادلة فى عقائد الملة. تقديم و تحقىق دكتور محمود قاسم ، الطبعة الثانية دار الناشر مكتبة الانحلو المصرية ، القاهرة / ١٩٦٤ ، ص ١٥٠ – ١٥١

(4) سورة الأعراف رقم الآية (١٧٢)

(5) سورة ال عمران رقم الآية (١٨)

(6) سورة الاسراء رقم الآية (٤٤)

طريقة الخواص، وأعنى بالخواص العلماء ، وطريقة الجمهور، وإنما الاختلاف بين المعرفتين فى التفصيل ، أعنى أن الجهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس ، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان أعنى من العناية والاختراع [١]

٣ – دليل الحركة:

يعتمد ابن رشد فى الدليل الحركة على أن النظر في الحركة الموجودة فى الكون يؤدى إلى تصور محرك أول لهذه الحركة ، فالحكماء عندما نظروا إلى هذه الموجودات أدركوا ضرورة ارتقاء ، الأمر فى هذه الجواهر إلى جوهر بالفعل خال من المادة ، ولزم أن يكون هذا الجوهر فاعلاً لا منفعلاً ، ولا يلحقه كلل ولا تعب ولا فساد ، لأن هذا كله يلحق بالجوهر الذي هو كمال لما هو بالقوة ولا يمكن أن تكون الموجودات محركة لذواتها بمعنى أن تكون هذه الموجودات متحركة بلا محرك ، فالمادة التي يستعملها النجار وهى الخشب ، لا يمكن أن تحرك نفسها أن لم يحركها النجار، والأرض لا يمكن ألا يكون منها بنات ان لم يحركها البذر [٢]

الوحدانية:

أدلة الوحدانية عند ابن رشد ولما كان الانتقال من قضية وجود الله تعالى إلى قضية وحدانية انتقالا منطقاً حيث يزيد أحداهما على الأخر ابن رشد قدر الطريقة الشرعية في معرفة وجود الخالق سبحانه والأن الطريقة الشرعية هى وجدانية الله – يرى ابن رشد أن الدليل الصحيح على وحدانية .الله هو الدليل البديهي الذى ورد فى القرآن : " لو كان فيهما الهه إلا الله لفسدتا "[٣]

فهذا دليل يرضى فطرة العامة من الناس ، ويرضى العلماء ولا داعى للتعقيد الذي يشوش إيمان العامة [٤]

اعتمد أبو الوليد على الأدلة الشرعية في ذلك التي نص عليها الله تعالى في كتابة العزيز في ثلاث آيات: أحداهما قوله تعالى: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[٥]

وأما قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " [٦]

(١) المصدر السابق : ص ١٥٣ – ١٥٤

(٢) اعداد د / محمد سلامة عبد العزيز ، د جمال الدين محمود جمعة درسات فى الفلسفة الإسلامية ص ١٦٢

(٣) الدين : الاستاذ خليل شرف ، فى سبيل موسوعة فلسفية

(٤) ابن رشد الشعاع الأخير ، منشورات دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٣ ص ١٢٢

(٥) سورة الانبياء رقم الآية (٢٢)

(٦) سورة المؤمنون رقم الآية (٩١)

وأما قوله تعالى : قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا"[١]
بىان وجه الاستدلال من الآية الأولى :- اعتمد أبو الوليد على الادلة الشرعية ، بين أنها . تتجه إلى الحس والعقل معاً، أى إلى الجمهور و العلماء، يقرر حقيقة بديهة وفطرية تعمد الملاحظة بصدقها، وهى أن وجود ملكين فى مدينة واحدة يفسدها ، إلا أن يعمل أحدهما ويبقى الآخر دون عمل ، وإذا جاز هذا فى الملوك فإنه لا يجوز فى الآلهة. فإن العاجز أو المتعطل لا يصلح أى يوصف بالألوهية . ثم نص هذا الفيلسوف على فساد طريقة المتكلمين من استنباط دليل التمانع من هذه الآية ، فقال إنهم فزعوا المسألة فى غير جدوى فقالوا إما أن يتفقا وإما أن يختلفا، وإذا اختلفا ، أى أنهم ظنوا أن الآية تحتوى على قياس شرطي منفصل مع أنها تحتوى على قياس شرطي متصل ، وهو القياس الذى لم يقطن.

المناطقة القدماء إلى أهمية العلمية. ومعنى هذا القياس هو أنه لو فرضنا وجود أكثر من إله لفسد العالم لكن هذا الفرض غير صحيح لأن العالم ليس فاسداً إذن ليس هناك إلا إله واحد خلق هذا العالم بعلمه وحكمته وعنايته [٢]

بيان وجه الاستدلال من الآية الثانية (وأما قوله : إذا لذهب كل آله بما خلق) فمعناه أنه إذا اختلفت أفعال الآلهة فلا يمكن أن يترتب عليها فعل واحد ، لكن هذا الفرض الثاني مردود أيضا لأننا نرى أن هناك عالماً واحداً . إذن لا يعقل أن يكون موجوداً بسبب عدة آلهة مختلفة الأفعال فى هذا الدليل أيضا نرى أن القياس شرطي متصل أي أنه قياس على منتج، لأنه قياس فرض ، وهو الأسلوب المنتج حقيقة فى كل تفكير علمى [٣] (وأما قوله : إذا لذهب كل إله بما خلق) فهذا رد منه على من يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال ، وذلك أنه يلزم فى الإلهة المختلفة الأفعال ، التي لا يكون بعضها مطيعاً لبعض ألا يكون عنها موجود واحد، ولما كان العالم واحد وجب ألا يكون موجوداً عن ألهه متفننة الأفعال [٤]

بيان وجه الاستدلال من الآية الثالثة :

وإما قوله تعالى: - (قل لو كان معه الهه كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) فمعناه أنه لا يجوز عقلاً أن يوجد إلهان تتحد أفعالهما اذ لو كان هناك إلهان يفعلان فعلاً واحداً. لوجب أن تكون نسبتهما إلى العرش واحدة ، أى أنهما يتساويان في كل شيء ،

---

(١) سورة الاسراء رقم الآية (٤٢)

(٢) ابن رشد مناهج الادلة فى عقائد المله مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام تقديم وتحقيق دكتور محمود قاسم ، دار الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٤

(٣) المصدر السابق ص ٣٤ مناهج الأدله

(٤) ابن رشد : مناهج الادلة فى عقائد الملة مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام ، تحقيق دكتور محمود قاسم دار الناشر مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٤ ص ١٥٥

فيحلان على العرش وليس المراد هنا حلولاً جسمياً لأن الأمر فى نسبة الله إلـى العـرش ضـده هـذا النـسبة ، أعنـى أن العـرش يقـوم بـه لا أنـه يقـوم بـالعرش ولـذلك قال الله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما)

وإنما المراد هو أن اتحاد أفعالهما تماماً يجعلهما يتحدان فى كل شئ ، بما يـؤدى إلـى أن استحالة القول بالتعدد إذن ليس ،هناك ما يدعو إلى الجدل أو القسمة العقلية فكل آيه لهـا معناها المحدد. زد على ذلك أن دليل الوحدانية ، الذى تحتوى عليه هذه الآيات هو دليـل الخاصة والعامة معاً. وإن امتاز الخاصة بأنهم إذ افحصوا العالم، ووقفوا على ما فيه مـن نظام واتساق ، زادوا يقيناً بان هذا العالم المنسق المتجانس لا يمكن إلا أن يكـون مخلوقـاً لأله واحد لا شريك له من تدبير خلقه . وتتحقق حكمة القرآن فـى حـث النـاس علـى المعرفة ، لكى يكون إيمانهم كاملاً ويقف هذا الهدف مع ما رأيناه فى أدلة وجـود الله ، لأن دليل الاختراع ودليل العناية الالهية حليفان للمعرفة وباعثان عليها [١] والدليل الـذى فـى الآية هو الذى يعرف فى صناعة المنطق بالشرطي المتصل ، والحق أن من يخلـط بـين الدليلين هو من يخلط بين الجدل وبين المنهج الصحيح، والمناهج الفاسدة أو الواهية تـؤدى عادة إلى نتائج فاسدة أو واهية هذا هو الدليل الفطري والشرعي الذي استخدمه ابـن رشـد على نفى وجود شريك لله تعالى ، يلاحظ على فيلسوف قرطبة فى هذه القضية أنـه قلـب منهجه حيث كون البناء والتركيب على الهدم والتحليل.

الحل الذي قدمة المعلم الأول أرسطو في القضية يذكر ابن رشد فكرة الوحدة عند أرسـطو وهى بما أن المحرك الأول واحد بسيط ، فلا يصدر عنه إلا واحد ولما كانت الموجـودات كلها ، الصور المفارقة منها ، والأجرام السماوية منها ، والأجـسام الأرضـية منـا هـذه الموجودات يرتبط أفراد كل نوع ببعضها ، ويكون وجودها مقيداً بهذا الارتبـاط ويكـون الارتباط لمعن واحد في الجميع : و مصدر هذا المعنى الواحد هو واحد قائم بذاته ، وهـو معطى الوحدة الكائنات على اختلاف طبائعها ، فتتنوع هذه الوحدة من كل مجموعـة مـن الكائنات سواء البسيطة منها، والأجرام والأجسام الطبيعية [٢]

قال: (والجواب عن هذا على مذهب الحكيم أن الأشياء التي لا يصح وجودها إلا بارتبـاط بعضها مع بعض) مثل ارتباط أجزاء المادة والصورة، وارتباط أجـزاء العـالم البـسيطة بعضها مع بعض، فإن وجودها تابع لارتباطها، وإذا كان ذلك كذلك فمعطـى الربـاط هـو

(١)ابن رشد : مناهج الادلة في عقائد الملة مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، تقديم وتحقيق دكتور محمود قاسم، دار الناشر مكتبـة الانجلـو المـصرية القـاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٣٥ ، ٣٦

(٢) نفس الرسالة ص ١٣٥

معطى الوجود، وإذ كان كل مرتبط بمعنى واحد والواحد الذى به يرتبط إنما يلزم عن واحد هو معه قائم بذاته ، فواجب أن يكون ههنا واحد مفرد بذاته ، وواجب أن يكون هذا الواحد إنما يعطى معنى واحد بذاته ، وهذه الوحدة تتنوع على الموجودات بحسب طبائعها، ويحصل عن تلك الواحدة المعطاة في موجود وجود ذلك الموجود ، و تترقى كلها إلى الوحدة الأولى ، كما تحصل الحرارة التي في موجود ، من الأشياء الحارة عن الحار ، الأول الذى هو النار، وتترقى لها [١] ثم قال ملخصا كلامه : وبهذا جمع أرسطو بين الوجود المحسوس والوجود المعقول ، وقال : إن العالم واحد صدر عن واحد، وإن الواحد هو سبب الوحدة من جهة سبب الكثرة من جهة ولما لم يكن من قبله وقف على هذا ولعسر هذا المعنى لم يفهمه كثير ممن جاء بعده فإذا كان ذلك كذلك فبيّن أن هذا موجوداً واحدا تفيض منه قوة واحدة ، بها توجد جميع الموجودات [٢] كثيرة ، فإذا صدر عن الواحد بما هو واحد واجب أن توجد الكثرة أو تصدر الكثرة أو كيفما شئت أن تقول :

المبحث الثاني : الصفات والذات

مشكلة الصفات والذات :-

ويقبل ابن رشد ما قاله الغزالي (إذ كنا لا نعرف حقيقة الذات الإلهية ، فكيف ندعى معرفه الصفات الإلهية) ، ويضيف عليه ، إن هذا هو قول المحققين من الفلاسفة والمحققين من غيرهم من أهل العلم[٣]

ويقول أيضاً : (فإذا الذي ينبغي أن يعلمه الجمهور من أمر هذه الصفات هو ما صرح به الشرع فقط وهو الاعتراف بوجودها دون تفصيل الأمر فيها هذا التفصيل ، فإنه ليس يمكن أن يحصل عند الجمهور فى هذا ىقىن أصلا، وأعنى هنا بالجمهور كل من لم يعن بالصنائع البرهانية ، وسواء حصلت له صنعة الكلام أولم تحصل له ، فإنه ليس فى قوة صناعه الكلام أن تكون حكمة جدلية لا برهانية ، وليس فى قوة صناعة الجدل الوقوف على الحق فى هذا [٤]

نظرة ابن رشد الدينية تجاه هذه الصفات أما بالنسبة لرأى ابن رشيد الشرعي فى الصفات الثبوتية ، فهو رأيه الذىساير فيه جمهور الأمة عامتهم ، وأثبتها لله تعالى مع بيان وجهة

---

(١) نفس الرسالة ص ١٣٥

(٢) بلا متوسطات عديدة، فضلاً أن يعد ذلك فيضا كفيض أصحاب نظرية العقول العشرة ، لأن ابن رشد معارض تماما لهذه النظرية ، ولكن شبه على ابن رشد رغم معارضه لنظرية القبض إلا أن هناك جهة جامعه بينه وبين القائلين بالفيض، وهى اعتباره صدور القوة الواحدة من الأول فيض بمعنى أنه خروج ضرورى إيجابي بلا اختيار ولا إرادة بالمعن الشرعى، وإنما تنبثق منه هذه القوة ضرورة ووجوباً ، وهذا نفس ما يقول أصحاب الفيض فى صدور العقل الأول من العلة الأولى، إلا أن الفرق كما هو عدم وجود وسائط تنتقل هذه القوة من خلالها ، واحدة تلو أخرى ، بل إنها مباشرة.

(٣) الموسوي :(الدكتور موسى) من الكندي إلى ابن رشد ، منشورات عويدات

(٤) نفس المرجع السابق (بيروت – باريس) الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

نظره الخاص في هذا الأثبات . يقول: (وأما الأوصاف التي صرح الكتاب العزيز بوصف الصانع الموجد للعالم بها فهي أوصاف الكمال الموجودة للإنسان وهي سبعة : (العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام) صفه العلم : (فأما العلم فقد نبه الكتاب على وجه الدلالة عليه فى قوله تعالى: – (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [١] ووجه الدلالة أن المصنوع يدل – من جهة الترتيب الذى فى أجزائه ، أعنى كون صنع بعضها من أجل بعض ، ومن جهة موافقة جميعها للمنفعة المقصودة .

بذلك المصنوع أنه لم يحد ث عن صانع هو طبيعة وإنما حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية فوجب أن يكون عالماً به ، مثال ذلك : أن الإنسان إذا نظر على البيت فأدرك أن الأساس إنما صنع من أجل الحائط وأن الحائط من أجل السقف ، تبين أن البيت أنما وجد عن عالم بصناعة البناء [٢] وقال فى صفة الإرادة : (وأما صفة الإرادة فظاهر اتصافه بها من شرط صدور الشيء عن الفاعل العالم أن يكون مراداً له ، وكذلك من شرطة أن يكون قادر)

صفة الكلام:

يريد ابن رشد أن ما يلقيه الله إلى العلماء (الفلاسفة) بواسطة البراهين يعد من كلام الله [٣] ولكن صفه التكلم التي يتصف بها الله هي الصفة التي يصدر منها كلام منطوق ملفوظ يدرك به المخلوق مراد الله وأوامره ونواهيه وعلى هذا فكلام الله بهذا المعنى شيء والفلسفة التي يتوصل إليها الفلاسفة بعقولهم شيء آخر. وليس معنى خلق الله للعقل أن العقل والوحى الإلهي شيء واحد وإلا لم يحتاج العقل إلى هداية الله ولتساوي علم الله مع علم المخلوق وكلام الله على كلام المخلوق وانعدام الفارق بين الخالق والمخلوق .

صفة الكلام :

فإن قيل فصفة الكلام من أين تثبت ؟ قلنا تثبت له من قيام العلم به ، وصفة القدرة على الاختراع) فإن الكلام ليس شيئا أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا [٤] يدل به المخاطب على

(١) سورة الملك آية (١٤)

(٢) رسالة عنوان قصايا الالوهية عند ابن رشد وتوماس الاكوينى ، بحث مقدم لنيل لدرجة الماجستير للباحث كراموكوتموث ، اشراف ا د حامد طاهر حسين – ا د عبد الحميد عبد النعيم مدكور ، القاهره ٢٠١٠ / ٢٠١١ رقم ١٥٤٢٥ ص ١٠١

(٣) مناهج الأدلة فى عقائد و تعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبة المزيفة والبدع المضلة تحقيق دكتور محمود قاسم الطبعة الثالثة ، دار الناشر: مكتبة الانجلو المصرية ص ١٩٦٤

(٤)يفهم من كلام ابن رشد فى صفه الكلام أنه يعتبرها صفة فعل لا صفة ذاتية أزليه قائمه بالذات الالهية ، مثل قيام سائر الصفات الذاتية ، كالسمع والبصر و العلم والارادة ، ولكن الطريقة المثلى في هذة الصفة صفة الكلام – طريقة سلف الأمة وحتى اعتبارها صفة ذاتية أزلية قائمة بالذات الإلهية كما قالوا مازال أي الله متكلما إذا اشاء بكلام يقول به ، وهو متكلم بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً . حديث عبد الله بن انيس رضى الله عنه معلقا في صحيح البخارى وموصولا فى كتاب البخارى نفسه المسمى خلق افعال العباد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك آناً الديان ، هذ هو الفرق بين مذهب سلف الأمة والاشاعرة .

العلم الذى فى نفسه ، [أو يصير المخاطب بحيث ينكشف له ذلك العلم الذى فى نفسه]، وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل ، وإذا كان المخلوق الذى ليس بفاعل حقيقي ، أعنى الإنسان ، يقدر على هذا الفعل من جهة ما هو عالم فكم بالحرى أن يكون ذلك واجبا فى الفاعل الحقيقي [1] كيفية كلام الله تعالى فى رأى ابن رشد ولهذا الفعل شرط اخر فى الشاهد ، وهو أن يكون بواسطة ، و هو اللفظ ، وإذا كان هذا هكذا وجب – أن يكون هذا الفعل من الله تعالى، فى نفس من اصطفى من عباده بواسطة ما ، إلا أنه ليس يجب أن يكون لفظا ولابد مخلوقا له بل قد يكون بواسطة ملك ، وقد يكون وحياً ، أى بغير لفظ – يخلقه، بل يفعل فعلا فى السامع يكشف له به ذلك المعنى، وقد يكون بواسطة لفظ يخلقه الله فى سمع المختص بكلامه سبحانه، وإلى هذه الأطوار الثلاثة الإشارة : بقوله تعالى :– (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) [2][3]

فالوحي هو وقوع ذلك المعنى له بفعل يفعله فى نفس المخاطب ، كما قال تبارك وتعالى – فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى [4]ومن وراء حجاب ، هو الكلام الذى يكون بواسطة الفاظ يخلقها الله فى نفس الذى اصطفاه بكلامه ، وهذا هو كلام حقيقي وهو الذي خص الله به موسى ولذلك قال تعالى: – وكلم الله موسى تكليما [5] وأما قوله :– أو يرسل رسولا – فهذا هو القسم الثالث ، وهو الذى يكون منه بواسطة الملك ، وقد يكون من كلام الله ما يلقيه الله إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بواسطة البراهين ، وبهذه الجهة صح عند العلماء أن القرآن كلام الله [6]

صفتا السمع والبصر:

صفه الإرادة لله والقدرة :–

رشد يثبت صفة الإرادة لله تعالى ، لأنها شرط ضرورى فى وجود أفعال التى تصدر عن علمه وحكمته ومع هذا الرأى الصريح .

اتهم فيلسوفنا بأنه ينكر إرادة الله. لا شئ إلا إنه يذهب إلى أنَّ الله لا يشبه الإنسان فى الاختيار بين عدة أمور ممكنه لم ينكر الإرادة الإلهية وإنما رفض من المماثلة بينهما وبين إرادة الإنسان الناقصة فالله يخلق الشيء الذى يريد وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفهم كيف

(1) نفس الرسالة ص ١٠٢ – ١٠٣

(2) سورة الشورى رقم الآية ٥١

(3) نفس الرسالة ص ١٠٤

(4) سورة النجم ، رقم الآية(١٠)

(5) سورة النساء رقم الآية (١٦٤)

(6) مناهج الأدلة ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة تقديم د محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٩٩ ص ١٦٢ ص ١٦٣

يريد الله الشر وكيف يخلق و يتفق هذا الرأي مع رد الله على الملائكة "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " عندما قالوا " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " فأجابهم " أنى أعلم غيب السموات والأرض " [١]

والأرض (الأن جانب الخير فى خلق الإنسان أعظم من جانب الشر فيه بكثير) [٢] يرى ابن رشد أن الإرادة بمعنى اختيار بين آمرين هي طبيعية الحيوان والإنسان مثال هو اختيار إنسان صالح صناعة الله من دون معصيته أو اختياره عمل الخير دون عمل الشر ، أن الاختيار بهذا المعنى يقوم على إشباع نقص فى الإنسان يكتمل تحقيقه عند اختياره أفضل الإمرين لذلك فإن ابن رشد نفى هذه الإرادة عن الله لأنه مستحيل أن يكون الله في حاجه إلى إلى إشباع شيء ينقصه يكتمل بتحقيقه عند اختيار أفضل الأمرين ولهذا فإنه ينكر أن تكون هناك إرادة أزلية يختار بها الله ما يوجد من أشياء محدثه على وجه معين دون وجه اخر مثل أرادته سبحانه أن يوجد ذرية من آدم – عليه السلام بالزوج بين الرجل والمرأة دون أن يخلقها كما خلق أدم عليه السلام بلا آب أو أم وذلك لأن هذا معناه من وجهه نظر ان حالة الله – لن تكون واحدة قبل الفعل وبعد الفعل ممّا يؤدى إلى تحقيق شئ لم يبلغه الله قبل الفعل [٣] يرى ابن رشد أن الإرادة الإلهية هى فعله الذى يصدر عن علم ما دام سبحانه يعلم الضدين ويمكن.

أن يصدر عنه هذا أو ذاك، ولما صدر عنه الأفضل من الأمرين فهو فاضل ، يقول ابن رشد: ليس معنى الإرادة في الأول عند الفلاسفة إلا أن فعله صادر عن علم، فالعلم من جهة ما هو علم بالضدين ممكن أن يصدر عنه كل واحد منها ، ويصدر الأفضل من الضدين دون الخس عن العالم بهما يسمى العالم فاضلاً)[٤] هذا النص أن ابن رشد فسر الإرادة بالفعل الصادر عن العلم أي أن العلم هو علة الأفضل دون حاجه إلى اختيار للوجود الأخس لأن العلم من طبيعته طبيعية ألا يصدر عنه إلا لخير. والواجب هو أن الله عن الإرادة الإنسانية التي يقوم على إشباع نقص فى الإنسان يكتمل بتحقيقه عند اختيار أفضل الأمرين من حيث أن حالة الإنسان قبل الفعل و بعد الفعل لن تكون واحدة ولكن ليس معنى ذلك أن تعطل ما وصف الله به نفسه من الإرادة الإلهية التي هي اختيار من أمرين وتزعم أنه فعل صادر عن علم دون مشيئة لأنه من الممكن في حق الله أن تكون له

(١) سورة البقرة رقم الآية (٣٠)

(٢) ابن رشد مناهج الأدله فى عقائد الملة مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام ، تقديم وتحقيق الدكتور محمود قاسم ، دار الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ص ٦٢ – ١٩٥٥ بدون طبع

(٣) تهافت التهافت ، تحقيق د سليمان دينا الطبعة الثانية ، دار المصارف بمصر بدون تاريخ ص٦٤٩

(٤) المصدر السابق ص٦٤٧

إرادة الاختيار بين أمرين دون أن تلحقه عوارض النقص التي تلحــق بـــالمخلوق لأن الله ليس كمثله شئ وهو الغنى عن الغير فلا تتأثر ذاته قبل الفعل ولا بعد الفعل. عشرات آيات القرآن الكريم تقرر فى صراحة ووضوح أن كله إرادة ومشيئة بمعنى الاختيار بين أمرين أو ضدين مثل قوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " [١]

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥

الخاتمة:

أما أذا كانت هناك قضايا ومسائل تكلمت فيها الشريعة الإسلامية مثل وجود الله ووجود الأنبياء، واليوم الآخر، وكانت هذه الأمور لا تتعارض في ظاهرها مع النظر العقلي ، فلا –مشكلة بنيهما[١] ، لكن إذا كانت هناك قضايا تكلمت فيها الشريعة الإسلامية وظاهرها يتعارض مع النظر العقلي وجب تأويلها ضرورة مثل مسألة حدوث العالم، وهو يؤكد على ذلك. بقوله ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان مخالفه ظاهر الشرع أن ذلك. الظاهر يقبل التأويل ، على قانون التأويل العربي / وهذه القضية لا يشك فيها مسلم.

ولا يرتاب بها مؤمن وما أعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل معقول : ما من منطوق به فى الشرع مخالف بظاهرة لما أدى اليه البرهان، إلا إذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه ، وحد فى ألفاظ الشرع ما يعمد بظاهرة لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد [٢] وهذا ما نلمسه بوضوح فى قضية حدوث العالم ، ذلك أن ظاهر الشرع يقول أن العالم محدث لقوله عز وجل(كن فيكون)[٣] والفلسفة الأرسطيه تقول. أن العالم قديم ، فهناك اختلاف ظاهر بين الحقيقة الدينية والفلسفة غير أن ابن رشد يفوض هذا الاختلاف ويؤول الآيات الكريمة التي تقول الحدوث إلى مساندة القضية الفلسفية ويعمد في تقرير موافقة بظاهر آيات القرآنية لقوله عز وجل(ثُمَّ استوى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)[٤] فيستنتج أن ظاهر الآيات الكريمة يؤكد على أن العالم قديم وليس محدث وهذا أما نقول به القلفة الأرسطية ويتحدى ابن رشد فى ذلك أيا كان من القرآن الكريم أن الله كان ولم يكن معه شيى. علىه فإذا حصل تعارض من بين الحقيقين. عند ابن رشد أولت الحقيقة الدينية لصالح الفلسفة (العقل)وهذا ما يقول به فخر الدين الرازي كذلك لا فعند حصول التعارض بين ظواهر النقل وقواطع العقل لا يمكن تصديقهما.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧

(٢)نفس المصدر السابق ص ٩٨

(٣)سورة النحل / آية ٤٠

(٤) سورة فصلت الآية ١١

المصادر والمراجع:

١. ابن رشد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال دار الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى – بيروت تشربن الثانى /نوفمبر س١٩٩٧ ص٤٩

٢. كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبة المزيفة والبدع المضلة تصنيف الشيخ العلامة ابو الوليد بن رشد ، ضمن كتاب (فلسفة ابن رشد القاضى احمد بن احمد بن رشد الأندلسى المتوفى سنة ٥٩٥ رحمة الله ، ط الأولى بالمطبعة العلمية بمصر ١٣١٣ (هجرية)

٣. رسالة بعنوان قضايا الألوهية ، عند ابن . رشد و توماس الأكويني حيث مقدر لنيل درجة الماجستير للباحث كراموكوغوث إشراف ا د حامد طاهر حسنين أ . د عيد الحميد عبد المنعم مدكور ، القاهرة ٢٠١٠/ ٢٠١٣ رقم ١٥٤٢٥

٤. الموسوى: (الدكتور موسى) من الكندي إلى ابن رشدى ، دار الناشر المنشورات عويدات، الطبعة الثالثة ، بيروت – باريس ١٩٨٢م .

٥. لابن رشد مناهج الأدلة فى عقائد الملة. تقديم و تحقىق دكتور محمود قاسم ، الطبعة الثانية دار الناشر مكتبة الانحلو المصرية ، القاهرة / ١٩٦٤ .

٦. إعداد د / محمد سلامة عبد العزيز ، د جمال الدين محمود جمعة درسات في الفلسفة الإسلامية

٧. ابن رشد الشعاع الأخير ، منشورات دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٣ .

٨. ابن رشد مناهج الأدلة فى عقائد المله مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام تقديم وتحقيق دكتور محمود قاسم ، دار الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .

٩. ابن رشد : مناهج الأدلة فى عقائد الملة مع مقدمة فى نقد مدارس علم الكلام ، تحقيق دكتور محمود قاسم دار الناشر مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٤ .

١٠. ابن رشد : مناهج الأدلة في عقائد الملة مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ، تقديم وتحقيق دكتور محمود قاسم، دار الناشر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٥ .

١١. الموسوي :(الدكتور موسى) من الكندي إلى ابن رشد ، منشورات عويدات

١٢. مناهج الأدلة فى عقائد و تعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبة المزيفة والبدع المضلة تحقيق دكتور محمود قاسم الطبعة الثالثة ، دار الناشر: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤

١٣. مناهج الأدلة ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة تقديم د محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٩٩ .

١٤. تهافت التهافت ، تحقيق د سليمان دينا الطبعة الثانية ، دار المصارف بمصر بدون تاريخ